أناستاسيوس يانولاتس، "الإسلام" ، أثينا ٢٠٠١م، ٣٣٩ص.

عرض د. ماريا فايو

إن نقص الدراسات التي أجراها العلماء اليونانيون حول الإسلام يجعل كتاب يانولاتس كتاباً شيقاً . ويقوم يانولاتس بدراسة دور الدين في الإسلام من خلال ثلاثة أجزاء . يستهل مقدمته بمعنى مصطلح الإسلام[١] ، ويؤكد على أهمية المعرفة به ، كما يفحص بعناية الكتابات الموضوعة منذ العصر البيزنطي وحتى يومنا هذا وذلك لاستعراض طبيعة ومراحل المعرفة الإسلامية والبحث العلمي المتعلق به .

يبدأ الفصل الأول من الجزء الأول بعرض خلفية عن تطور الإسلام . فيتناول بالوصف الديانة العربية في الجاهلية وتركيبها المتعدد الآلهة ، ومفهوم التوحيد بالله ، وأوجه العبادة ، والأخلاقيات ، والمؤثرات المسيحية واليهودية التي ظهرت في شكل تيارات دينية تم دمجها مع الإسلام .

يبدأ الفصل الثاني بوصف مختصر للسنوات الأولى للنبى ﷺ (٥٧٠ – ٦٢٢م)، ثم ينتقل إلى مشاكل التأريخ المتعلقة بدراسة الفترة المبكرة من الإسلام ، وحياة النبى ﷺ والقرآن . ويشير يانولاتس أن هجرة النبى ﷺ للمدينة في عام ٦٢٢م ، كانت بمثابة نقطة التحول في تشكيل الديانة الإسلامية . وقد نادى النبى محمد ﷺ الناس لعبادة الإله الواحد الحق والعودة إلى ملة إبراهيم ؛ وهو بذلك لم يجئ برسالة من إله جديد ، وعلى الرغم من أنه وضع جانباً فكرة التضرع للمسيح وموسى كما هو الحال في الديانتين الإبراهيميتين الأخيرتين : اليهودية والمسيحية ، إلا أنه قدم نقطة اتفاق عامة وسلطة لا نزاع فيها. وقد وضع النبى ﷺ الأسس للجماعة الإسلامية (أمة الإسلام) يربطها إيمان بدين مشترك ، كما لفت الانتباه إلى المبادئ العربية المتوارثة (التقاليد المتوارثة)مقدماً تفسيراً دينياً جديداً لها . ويظهر هذا في تغيير قبلة الصلاة إلى مكة بدلاً من القدس . وقد تبع ذلك سلسلة من القواعد التي عززت وقوت من الطابع القومى العربى

[١] يعنى يانولاتس بمصطلح الإسلام التجربة الدينية التى تعرف بـ "طاعة الله" أو "قبول هداية الله" .

للحركة الدينية للنبى محمد ﷺ . كما تظهر أهمية هجرة النبى ﷺ في اتخاذها بداية للتقويم الإسلامي .

وفي الفصل الثالث يسلط يانولاتس الضوء على القرآن ، وهو المصدر الرئيسي للحياة الدينية للمسلمين الذي يرتكز على أساس المعتقدات والممارسات الإسلامية . ويصف الكاتب طبيعته ، وتاريخ (انتهى تجميعه في ٦٤٥م) وتقسميه (إلى ١١٤ سورة) . كما يؤكد الكاتب على المشكلات الكرونولوجية المتعلقة بترتيبه ، ويتناول أيضاً محاولات تفسير النص . ويعقد مقارنة بين القرآن وشخصية المسيح في اللاهوت المسيحى بكونه "كلمة الرب الخالدة" . ويحتوى القرآن على ما أوحى للنبى ﷺ في مكة والمدينة ، وهو رسالة من الصلوات وملخص للتاريخ المقدس وأساس الأخلاق والقوانين (الشريعة) في الإسلام ، وكذا أول أثر باق ومكتوب للغة العربية . والقرآن هو العلامة المرئية الرئيسية لوجود الله بين الناس في دين لا يوجد به كهنوت، ومقدسات ، وأيقونات كما هو الحال في الكنيسة المسيحية .

وفي الفصل الرابع يناقش الكاتب طبيعة الحديث (وهو أقوال وأفعال النبي) ونشأته ، ومن خلال العديد من الأمثلة ، يصف المؤلف استخدامه كمصدر لتقديم الحلول للمشكلات في المجتمع الإسلامي . ويحاول الكاتب أن يبرهن أن فهم القرآن يتأتى في ضوء الحديث ، ويقدم معلومات حول الإسناد مع التأكيد على موضوع مصداقية وتاريخية الأسماء (أسماء رواة الحديث) ، والصحة ، والعلاقة بين المشاركين في الإسناد ، كما يصنفهم إلى فئات ويصف أعمالهم بكونها أعمال صحيحة .

وفي الفصل الأول من الجزء الثاني ، يعرض يانولاتس الخطوط الدينية الرئيسية للقرآن . فيؤكد على "أسس الإيمان" : التوحيد بالله ، الإيمان بالملائكة ، والأنبياء ، وكتبهم ، والبعث بعد الممات ، ويوم الحساب ، وحتمية قدر الإنسان ، كما يرسم نوع من التطابق التخطيطي بينها وبين رموز الإيمان المسيحية . ويشير إلى بعض الاختلافات بينهما وهى رفض ألوهية المسيح ، ونفي لفظة "الآب" إلحاقاً بكلمة الله ، وهو أمر متعلق بفكرة كونه ابن الرب وتعاليم الثالوث المقدس ، وكذا نفي صلب المسيح وبعثه من جديد . ومن بين أوجه التشابه : المكانة الخاصة التي تحتلها السيدة مريم العذراء في القرآن ،

وهى في الواقع المرأة الوحيدة التي يذكر اسمها صراحة في القرآن ، وأيضاً إجلال شخصية يسوع وأعماله والروح القدس .

ويلخص المؤلف في الفصل الثانى الخلفية التاريخية لظهور علم الكلام والفلسفة في الإسلام (القرن الثالث الهجرى) ، ويحاول أن يثبت فيه أن السبب الرئيسي لظهور علم الكلام هو الاختلافات الدينية والسياسية بين المجموعات المختلفة في المجتمع الإسلامي، والحاجة إلى وجود دفاع روحي في مقابل الجدلية العنيفة التي واجهوها من قبل البيزنطيين.

وفي الفصل الثالث ، يشرح يانولاتس أنه يتم التعبير عن الإيمان والممارسات الإسلامية من خلال العديد من المعتقدات والشعائر . ويتناول بالوصف الأركان الخمسة (اللازمة أدائها) للمسلمين ألا وهى : الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج، كما يؤكد على الشعائر والخطوات الخاصة عند ممارسة كل منها . ويشير أيضاً إلى الأعياد والاحتفالات الأخرى في حياة المسلمين الدينية مؤكداً أنهم يهدفون بها إلى إيجاد نوع من الوحدة بين المسلمين مع التأثير عليهم للإذعان لإرادة الله .

وفي الفصل الرابع، يناقش المبادئ الأخلاقية الأساسية مع التركيز على النظام الأسرى ، ومكانة المرأة ، ونظرية الجهاد وغيرها ، كما يشير إلى قيم التعاطف والإنسانية والتواضع والعدل وغيرها التي أكد عليها القرآن والحديث . وبالإضافة إلى هذا، يشرح المؤلف أهمية الشريعة في الإسلام التي تعين سلوك الناس وحياتهم الخاصة والاجتماعية ، وقد اشتقت من تعاليم القرآن والسنة وإجماع الفقهاء والقياس . كما يفرق الكاتب بين الفئات المختلفة من أفعال الناس التي تفرضها الشريعة ، كما يشير إلى مذاهب الشريعة التي تعمل على تقييم الأحكام الشرعية وتفسيرها .

في الفصل الأول من الجزء الثالث ، يرسم يانولاتس خريطة تاريخية لأهم الأحداث التي تركت أثراً على التاريخ العربي كما يؤكد فيه أن الإسلام قد مر بعدة مراحل في تطوره : الفترة الكلاسيكية (ازدهار العرب من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر) الفترة الوسطى (ظهور المغول والأتراك في منتصف القرن الثالث عشر وحتى القرن الثامن عشر) وفترة الاضمحلال (منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى بداية القرن

العشرين) وفترة الازدهار الجديدة (الحرب العالمية الثانية) . كما يشير إلى التطور الثقافي في الإسلام ومساهمته في ازدهار الفلسفة والفنون والعمارة والعلوم . ويتناول بالدراسة الأقسام الدينية في الإسلام ويصف فرق الخوارج والمعتزلة والمرجئة والأحمدية .

وفي الفصل الثاني يتناول بالبحث السنة والشيعة وفروعهم والمؤثرات والمعتقدات وأوجه الاختلاف . وفي الفصل الثالث يقدم ملخصاً تاريخياً لتطور وتأثير التصوف الإسلامي وممثليه . وفي الفصل الأخير يصف يانولاتس الخواص المميزة للإسلام المعاصر . كما يتفحص الاتجاهات الداخلية في الإسلام كحركة التحديث ، وإحياء الدعوى السلفية ، والإصلاح الراديكالى والتعديلات التشريعية . كما يؤكد أن العالم الإسلامي قد شهد زيادة تدريجية في القوى السياسية بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الحاضر ، ومثال على ذلك هو الاستقلال السياسي للشعوب المسلمة عن هيمنة القوى الغربية ، والتأكيد على الهوية القومية ، وظهور النموذج المثالي الإسلامي الشامل ، وزيادة الحماسة للدعوة الإسلامية . وفي العالم اليوم ، يثير اعتناق الإسلام وعلاقته بالحياة العديدة من الأسئلة ، وعلى هذا فإن كونه ديانة عالمية يبلغ عدد معتنقيها في أرجاء العالم ١.٤ حوالى مليون شخص ، يجب أن يجذب اهتمام كل المهتمين بالديانات الأجنبية . ويدعو يانولاتس في كتابه بالنظر إلى المسلمين باعتبارهم مواطنين متجانسين والعمل على تقدير ماضينا الديني والتاريخي المترابط .

وقد نجح كتاب يانولاتس في جعل القارئ يتفهم ويقدر ما يؤمن به المسلمون ويمارسونه . ويقدم الكتاب ، بما يتميز به من اختصار وحيوية وسلاسة في الأسلوب ، للقارئ رؤية مثقفة للدور الأساسي الذي يلعبه الإسلام في حياة المسلمين . وحيث أن الله هو مركز الديانة ، فإن التوحيد به يسيطر على الممارسات الإسلامية ، كما أن نشر وتحقيق الإرادة الإلهية فهو إلزام للفرد والجماعة . ويصف المؤلف أساس الدين ونشأته ومصادره وتطوره الديني وأركان الإيمان وحياة العبادات وأهمية القوانين التي ترسيها الشريعة الإسلامية ، فهو بذلك دين يخصب ضمير الشعوب التاريخي ويحدد مستقبلهم . وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد أعيد طبعه في سنة ١٩٧٥ ، إلا أنه ما يزال يعد مساهمة هامة لمعرفتنا حول الأوجه المختلفة للإسلام . ويستشهد يانولاتس بالقرآن حتى

يعبر عن النقاط الإسلامية الرئيسية ، مع إعطائه المعنى الايتمولوجى للمصطلحات العربية عند الحاجة ، واستخدام الكثير من الحواشي لدعم مناقشته في النص والتي تخدم بدورها كمراجع عند الحاجة ، واستخدام الكثير من الحواشي لدعم مناقشه في النص والتي تخدم بدورها كمراجع لمشكلات معينة للقراء . كما يجذب انتباهنا إلى المشكلات المتعلقة بالمادة المصدر لأوجه معينة في التاريخ الإسلامي ، ويسلط الضوء على الموضوعات المتناقضة بتقديم تفسيره الخاص ، ومن ثم فإن كتاب يانولاتس يعد دراسة متكاملة عن الإسلام وديناميكيته عبر العصور .